الثبات والصبر

مفتاح

الفرج والنصر

من خلال سورة آل عمران

بن سالم باهشام

أستاذ العلوم الشرعية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وإخوانه وحزبه.

مقدمة

الحمد لله العلي الأعلى الوهاب ، صاحب الأسماء الحسنى، والصفات العلى، نحمده - سبحانه وتعالى- ونستعينه ونستهديه، ونستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ به من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، ولن تجد له وليا مرشدا.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمدا عبد الله ورسوله، وصفوته من خلقه وخليله، فصلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه، ومن تبعه، وصلى الله علينا معهم برحمتك يا أرحم الراحمين. وبعد، أوصي نفسي وإياكم بالعناية و الحرص على كتاب الله ﷻ، تلاوة وحفظا ومراجعة وتدبرا ، وعملا، فإنه حياة القلوب؛ وسكينة النفوس؛ ونور الصدور، قال الإمام أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي- رحمه الله- : (ينبغي لتالي القرآن العظيم؛ أن ينظر كيف لطف الله تعالى بخلقه في إيصال معاني كلامه إلى أفهامهم، وأن يعلم أن ما يقرأه ليس من كلام البشر، وأن يستحضر عظمة المتكلم سبحانه ويتدبر كلامه).[1]

والحذر كل الحذر، أن يكون هدفنا فقط قراءة حروفه وحفظه، دون الغوص في كنوزه ومعانيه، والسعي للعمل به للاستفادة من خيراته ، فقد عاب الله على

[1] - مختصر منهاج القاصدين، لابن قدامة، ص46.

المنافقين لما أعرضوا عن تدبر كتابه العزيز، فقال سبحانه في حقهم، وفي حق كل من سلك مسلكهم وسار على طريقهم: ﴿**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا**﴾[1].

قال الإمام القرطبي - رحمه الله -: (عاب المنافقين بالإعراض عن التدبر في القرآن والتفكر فيه و في معانيه)[2].

وقال الإمام ابن القيم- رحمه الله-: (فقراءة آية بتفكر وتفهم، خير من قراءة ختمة بغير تدبر وتفهم، وأنفع للقلب وأدعى إلى حصول الإيمان، وذوق حلاوة القرآن، وهذه كانت عادة السلف؛ يردد أحدهم الآية إلى الصباح، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قام بآية يرددها حتى الصباح، وهي قوله تعالى: ﴿ **إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ، وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾[3]. فقراءة القرآن بالتفكر هي أصل صلاح القلب)[4].

ولا يكفي التعامل الفردي مع القرآن الكريم، بل لابد من السلوك الجماعي، وهذا يتم عن طريق مدارسة القرآن الكريم، و للمدارسة القرآنية ثمار جليلة وفضائل عظيمة وكثيرة؛ فالمدارسة خيرٌ كلها ، وبركة كلها، فالله تعالى يبارك فيها فيفيض بنوره على المجتمعين لمدارسة قرآنه، فيثمر ذلك ثماراً نافعة وفضائل عديدة منها:

---

[1] - سورة النساء، الآية 82.

[2] - تفسير القرطبي (290/5).

[3] - سورة المائدة الآية 118.

[4] - مفتاح دار السعادة، لابن القيم، (187/1).

1 - المدارسة للقرآن سبيل التعلم والتعليم:

فالعلم الحق هو علم القرآن، والمدارسة هي السبيل إلى تحصيل هذا العلم؛ العلم بأحكام القرآن ، ومعرفة أسراره وحكمه، واكتشاف بصائره المبثوثة في سوره وآياته، قال تعالى: ﴿ **وَلَكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ** ﴾[1]، فالرسول ﷺ إنما تعلَّم القرآن ، وفهِمَ معانيه ومقاصده وأسراره، وطريقة تنزيله ، بالتدارس؛ فقد كان جبريل عليه السلام يلقاه في كل ليلة من رمضان ، فيدارسه القرآن، والصحابة الكرام رضي الله عنهم، إنما تعلموا القرآن وعلّموه ، بمنهج مدارسة الرسول ﷺ القرآن لهم، وبمجالسهم الخاصة بتدارسه فيما بينهم.

2 - المدارسة للقرآن سبيل تزكية الأنفس:

فالتزكية إحدى الوظائف الأساسية للقرآن، وحصولها يتم بالمجاهدة الفردية والسلوك الجماعي الجهادي، كما هو الحال في مجالس المدارسة القرآنية في مجالس النصيحة ، لقوله تعالى: ﴿ **هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ** ﴾[2]، ففي هذه المجالس ، يتعلم الجلساء علم القرآن، ويتربون على معاني الخير وقيم الصلاح التي تزكو بها النفوس ، وتتطهر القلوب، وهذا ليس غريباً في مجلس قرآني تحف أهله الملائكة الأطهار.

---

[1] - سورة آل عمران، الآية 79.

[2] - سورة الجمعة، الآية 2.

3 - الحظوة بأربعة أوسمة ربانية للمتدارسين للقرآن:

في مجالس تدارس القرآن، أولا: تتنزل السكينة على المتدارسين للوحي، ونزول السكينة سبب في ازدياد الإيمان، قال تعالى في سورة الفتح: وتحفهم الملائكة، وتغشاهم الرحمة، ويذكرهم الله فيمن عنده، أربعة أوسمة يحظى بها كل فرد في مجالس تدارس القرآن، والشرط في تحقق هذه الفضائل العظيمة، المدارسة الجماعية للقرآن، المعبر عنها في الحديث بقوله ﷺ: **(ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله** يتلون كتاب الله، ويتدارسونه فيما بينهم، إلا حفتهم الملائكة، وغشيتهم السكنية وذكرهم الله فيمن عنده)[1].

4 – تدارس القرآن سبيل التذكروالتبصر:

فالحاضرون في مجالس تدارس القرآن الكريم، إنما يدفعهم للحضور، رغبتهم في فهم القرآن والاستفادة منه، فيوفقهم الله تعالى وييسر لهم سبل التذكر، قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ**﴾[2].

5 – تدارس القرآن طمأنة للقلوب:

في مجالس تدارس القرآن، تطمئن القلوب بذكر الله، لقوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ أَمَنُوا**

---

[1] - أخرجه ابن أبى شيبة (46/6 ، رقم 29358) ، وأحمد (123/4 ، رقم 17155) ، وابن حبان (310/5 ، رقم 1974) ، والطبرانى (279/7 ، رقم 7135) ، والحاكم (688/1 ، رقم 1872) وقال : صحيح على شرط مسلم . وأبو نعيم فى الحلية (77/6) . وأخرجه أيضًا : النسائي (54/3 ، رقم 1304) .

[2] - سورة القمر، الآية 17.

وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[1].

6 – حصول الخشية من الله تعالى بالمدارسة للقرآن:

بالمُدارسة للقرآن تتحقق النذارة والخشية من الله في الدنيا ومن عذابه في الآخرة؛ لأنّ مادتها هي القرآن، ووظيفته الإنذار، لقوله تعالى: ﴿**وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾**[2].

7 – تحقيق الخشوع لذكر الله بالمدارسة للقرآن:

بتدارس القرآن تخشع القلوب لذكر الله؛ لأنَّ المجتمعين اختاروا التعامل مع القرآن، وآمنوا بأنه الحق المنزّل من الله، فخشعت قلوبهم له. قال تعالى: ﴿**أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾**[3]،
.فالمتدارسون للقرآن بصدق وجد وإخلاص آنَ لقلوبهم أنْ تخشع لذكر الله

8 – تكشّف أسرار وحقائق القرآن بتدارسه:

بالمدارَسَة والتدبر الجماعي للقرآن تتكشف حقائقه ومعانيه وأسراره وحكمه، فيكون ذلك أدعى لاستخلاص الهدى المنهاجي منه.

بمكناس في صباح يوم الجمعة 04 رجب 1441 الموافق 28 فبراير 2020

---

[1] - سورة الرعد، الآية 28.

[2] - سورة الأنعام، الآية 51.

[3] - سورة الحديد، الآية 16.

مقصد سورة آل عمران وأهمية معرفته:

أ - أهمية التعرف على مقصد السورة:

يمكن أن يُعَرّفَ مقصد السورة بأنه: مغزى السورة الذي ترجع إليه معاني السورة ومضمونها، ويمثل روحها الذي يسري في جميع أجزائها. فعندما يُنظر إلى المقصود، يوجد مركوزاً في كل موضوع من موضوعات السورة، ويوجد بيّناً واضحاً، يتراءى عندما يُدقّق في النظر، ويُتأمل تأملاً جيداً. ويمكن أيضا أن يقال بعبارة أخرى: إن مقاصد السور: علْمٌ يعرف به مغزى السورة الجامع لمعانيها، ومضمونها. والمغزى يعني الحكمة التي قصدت السورة لتحقيقها؛ والهدف الأعلى؛ والغاية العظمى التي جاءت السورة لتحقيقها.

لهذا فمقصد السورة هو أصل معانيها التي ترجع إليه السورة، فهو أصل في فهم معاني كلام الله تعالى، ولهذا فإن معاني السورة، لا تتحقق إلا بعد استيفاء جميعها بالنظر، واستخراج مقصدها، ولا نستطيع الوصول إلى كل المعاني في السورة، إلا بعد أن ننظر في موضوعات هذه السورة، ثم نفهم الرابط والمقصود الأعظم الذي يجمع هذه الموضوعات، وترتبط وتلتئم به آيات هذه السورة، عندها إذا أعدنا النظر في هذه السورة من أولها إلى آخرها، فهمنا فهما آخر، وعرفنا لماذا ذكر هذا هنا؟ ولماذا ذكر هذا هنا؟ ولماذا افتُتح بهذا، واختُتم بذاك؟ فهذه مهمات عظيمة جدا تعيننا على فهم كلام الله، وتبين لنا مقاصد الآيات وأسرار وضع هذه الآيات في السورة . يقول الشاطبي – رحمه الله - : "اعتبار جهة النظم في السورة لا يتم به فائدة، إلا بعد استيفاء جميعها

بالنظر، فالاقتصار على بعضها غير مفيد للمقصود منها، كما أن الاقتصار على بعض الآية في استفادة حكم ما،لا يفيد إلا بعد كمال النظر في جميعها ".
وبمعرفةِ مقصدِ السّورة تنتظم آيات السورة، ويظهر التناسب بين آياتها، فتكون لُحْمة واحدة يجمَعُها معنًى واحدا . فإذا عُرف المقصود، عرف لماذا ذكر الله هذا؟

ب - مقصد سورة آل عمران:

بعد الاستقراء، نجد سورة آل عمران تناقش قضية من أهم القضايا الإنسانية، وهي: "**الثبات على المنهج**"، وهذا المقصد الذي تدور حوله السورة وثيق الصلة بمقصد سورة البقرة التي كانت تخبر المسلمين بأنهم مسئولون عن الأرض، والتي عرضت منهج الاستخلاف. وأوردت ثلاثة نماذج على ذلك: النموذج التجريبي الذي يمثله آدم عليه السلام، والنموذج الثاني الفاشل المتمثل في بني إسرائيل، والنموذج الثالث الناجح والمتمثل في إبراهيم عليه السلام، وسورة آل عمران تؤكد الثبات على هذا المنهج، فمقصد سورة آل عمران، هو الثبات على المنهج الحق، والكثير من الأشخاص - بعد تعرفهم على المنهج، وتحملهم المسؤولية – لا يثبتون عليه، وبالتالي لا يستمرون، فيزيغون ويتساقطون، ويبتعدون عن المنهج القويم، وسورة آل عمران خاطبت وقت نزولها المتدينين بعد أكثر من 20 سنة لأجل تثبيتهم على الدين، كما تخاطب المؤمنين والمؤمنات عموما، وشباب اليوم خصوصا - ما دامت العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص

السبب - الذين تديّنوا بالأمس وتقول لهم: اثبتوا على دينكم، وانتماءاتكم الحركية، ومنهجكم الذي اطلعتم عليه واقنعتم به، لتحقيق استخلاف المسلم في الأرض.

وما دام القرآن صالح لكل زمان ومكان، فنحن الآن أحوج ما يكون لمعاني الثبات في هذا العصر، الذي التبس فيه الحق بالباطل على الكثيرين وللأسف، وصاروا ضحية لشبهات فكرية، وشهوات رخيصة. فالمؤمن لا يكون مطية في خدمة الطغاة المجرمين، ولا بوقاً يبرر فيه جرائم الظالمين.

كما أن المؤمن يكون على حذر من دعاة على أبواب جهنم يزينون الباطل، ويفسدون فكره بملوثات فكرية، يدعونه إلى ترك الهدي النبوي، ويشككونه بأحاديث نبيه المصطفى ﷺ باسم النقد والدراسات الحديثة، وهؤلاء المساكين حرموا أنفسهم من الأحاديث الشريفة الأصيلة في بلاغة نبوية رائعة، وابتعدوا عن المنهاج النبوي الرائد، وخسروا منظومة أخلاقية محمدية لا مثيل لها.

والمؤمن على وعي بما يدور حوله ، فلا يقع في براثن الذين يطعنون في تعاليم الإسلام وأحكامه، وقيمه ومبادئه: تحت شعارات خبيثة ، تارة باسم التنوير والتجديد، وتارة باسم محاربة الإرهاب والتطرف.

والمؤمن لا يكون إمَّعة في سلوكه ومنهجه ، يدور مع الآخرين حيث داروا، أو يقلد غيره تقليداً أعمى ، فلا تبقى له شخصيته الإسلامية المستقلة في عقيدته وفكره، بل هو في عزة من دينه، وشموخ في إيمانه، وفخر بهُوَيّتة الإسلامية وانتمائه

الحركي، صالح مصلح، ناصح أمين، غيور على أمته، حريص على السعي في رفعتها.

فكم نحن في أمس الحاجة في كل لحظة لمعاني الثبات ، التي قال تعالى فيها : **(يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ)**[1].

ومن هنا ندرك أهمية إلحاح النبي ﷺ على معاني الثبات ، والعزيمة عليها ، إذ قال: **(يا شداد بن أوس إذا رأيت الناس يكنزون الذهب والفضة فاكنز أنت هؤلاء الكلمات: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الأَمْرِ، وَأَسْأَلُكَ عَزِيمَةَ الرُّشْدِ ، وَأَسْأَلُكَ شُكْرَ نِعْمَتِكَ ، وَحُسْنَ عِبَادَتِكَ ، وَأَسْأَلُكَ لِسَانًا صَادِقًا ، وَقَلْبًا سَلِيمًا ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَعْلَمُ ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا تَعْلَمُ ، وَأَسْتَغْفِرُكَ مِمَّا تَعْلَمُ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ")**[2].

علاقة اسم "سورة آل عمران" بالثبات على المنهج.

إن الله تعالى قد اختار في هذه السورة رمزين من رموز الثبات:

الرمز الأول: امرأة آل عمران، و **الرمز الثاني:** مريم بنت عمران عليها السلام، وسرد لنا قصتهما في رُبعين كاملين من السورة.

---

[1] - سورة إبراهيم، الآية 27.

[2] - أخرجه ابن أبي شيبة (46/6 ، رقم 29358) ، وأحمد (123/4 ، رقم 17155) ، وابن حبان (310/5 ، رقم 1974) ، والطبراني (279/7 ، رقم 7135) ، والحاكم (688/1 ، رقم 1872)، وقال : صحيح على شرط مسلم وأبو نعيم فى الحلية (77/6) . وأخرجه أيضًا : النسائي (54/3 ، رقم 1304) .

1 - السيدة مريم عليها السلام: ثبتت على طاعة الله تعالى وعبادته، وثبتت على العفة، حتى استحقت أن تذكر بهذه الصفة في القرآن الكريم (**ٱلَّتِيٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا**)، فمن أخطر الأمور التي تضيّع الأفراد، وتضيّع المجتمعات، الفشل في الثبات على الطاعة وعلى العفة. فكانت السيدة مريم عليها السلام رمزاً للثبات عليهما.

2 - وأما زوجة عمران: فقد كان همها الأول، أن يكون الجنين الذي تحمله ناصراً لدين الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾﴾ [سورة آل عمران، الآية 35].

﴿**محرّراً**﴾ أي خالصاً لك، فكانت تريده أن يحرر المسجد الأقصى من يد الرومان المعتدين، وبذلك كانت رمزاً للثبات على فكرتها، حتى بعد أن علمت أن وليدها كان أنثى﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ

﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾﴾[1]، فتقبّل الله تعالى من امرأة عمران صدق نيتها، ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتاً حَسَناً﴾[2]. واللطيف أن الله تعالى ذكر هذين الرمزين في السورة التي تناقش أهل الكتاب، وهذه طريقة مميّزة للقرآن في تقريب الناس، فمع أنه ينكر على ما يعتقده أهل الكتاب، لكنه يثني على شخصيات عظيمة يؤمنون بها، كزوجة عمران، والسيدة مريم العذراء.

تقسيم سورة آل عمران، وعلاقة مضامين أقسامها بالثبات على المنهج:

بتدبر سور آل عمران نهتدي إلى تقسيمها إلى قسمين حسب المضمون:

1 - القسم الأول: الآيات (من الآية 1 – إلى الآية 120):

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿الٓمٓ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿١﴾﴾[3]، إلى قوله تعالى: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ

---

[1] - [سورة آل عمران، الآية 36].

[2] - [سورة آل عمران، الآية 37].

[3] - [سورة آل عمران، الآية 1].

سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾[1].

الثبات على الحق فكرياً أمام المؤثرات الخارجية، من خلال الحديث عن أهل الكتاب والحوار معهم، وهو أول حوار بين العقائد في القرآن.

2. القسم الثاني: الآيات: (من الآية 121 – إلى الآية 200).

من قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾[2]، إلى قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾[3].

الثبات على الحق عملياً أمام المؤثرات التربوية الداخلية، من خلال الحديث عن غزوة أحد، كنموذج للأخطاء التي قد تقع، وكيفية تفاديها.

والسورة بدأت بالخارج حتى تُجهّز للمسلم البيئة المحيطة، وبعد ذلك تحدثت عن الداخل. والواقع أن السورة تناولت هذين المحورين من خلال التعليق على حادثتين حصلتا على عهد النبي ﷺ:

[1] - [سورة آل عمران، الآية 120].
[2] - [سورة آل عمران، الآية 121].
[3] - [سورة آل عمران، الآية 200].

- **الحادثة الأولى:** لقاء وفد نصارى نجران مع النبي ﷺ ، حين ضيفهم في المسجد النبوي، وحاورهم لمدة ثلاثة أيام.

- **الحادثة الثانية:** غزوة أحد والهزيمة أمام المشركين، فتأتي 80 آية للتعقيب عليها، لأن من المؤمنين من لم يثبتوا في الغزوة، ولم يطيعوا أوامر نبيهم صلى الله عليه وسلم (وخاصة الرماة).

و هذه الآيات وإن كانت تعلق على حوادث مضى عليها أكثر من 1400 سنة، لكنها تخاطب المسلمين في كل العصور، لتعلمهم كيف يثبتوا خارجياً وداخلياً، فكرياً وعملياً.

آيات من سورة آل عمران تدعو إلى الثبات ومن ضمنها آيات المدارسة:

في سورة آل عمران آيات كثيرة تدعو إلى الثبات:

1 - فمرة يكون ذلك عبر التذكير بأشخاص ثبتوا عند لقاء العدو. (في معرض الحديث عن غزوة بدر)

﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ

مَن يَشَآءُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿١٣﴾[1].

2 - ومرة تذكّرنا السورة بالحواريين حين ثبتوا على نصرة دين الله تعالى وعدم الكفر به.

﴿۞فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴿٥١﴾[2].

3 - وبمناسبة الحديث عن الأمم السابقة، يذكّرنا الله تعالى بعهد الأنبياء وثباتهم على نصرة الإسلام.

﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم مِّن كِتَٰبٖ وَحِكۡمَةٖ ثُمَّ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مُّصَدِّقٞ لِّمَا مَعَكُمۡ لَتُؤۡمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقۡرَرۡتُمۡ وَأَخَذۡتُمۡ عَلَىٰ ذَٰلِكُمۡ إِصۡرِيۖ قَالُوٓاْ أَقۡرَرۡنَاۚ قَالَ فَٱشۡهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٠﴾[3].

---

[1] - [سورة آل عمران، الآية 13]

[2] - [سورة آل عمران، الآية 51]

[3] - [سورة آل عمران، الآية 80].

4 - وفي سورة آل عمران تجد آيات تحثّك على التقوى والثبات على الدين حتى الممات. وهذه الآية تقول لك: إياك أن تموت إلا وأنت مسلم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾[1].

ولكن كيف ونحن لا نعرف متى نموت، والله تعالى لا يكلف إما بمقدور؟ الجواب: اتق الله واثبت على طاعته في كل الأحوال، فبذلك ستموت على الإسلام وتضمن حسن الخاتمة إن شاء الله.

5 - وتأتي الآية التي بعدها مباشرة ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ

[1] - [سورة آل عمران، الآية 102]

لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾[1]، فإذا أردت الثبات على الحق فاعتصم بالقرآن، والزم الصحبة الصالحة والجماعة، وإياك والاختلاف.

﴿وَلاَ تَكُونُواْ كَالذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ اُلْبَيِّنَٰتُ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾[2].

6 - وتتوالى الآيات في سورة آل عمران لتحث على الثبات في مواطن مختلفة. فتأمل معي قول الله تعالى في الثبات عند لقاء العدو:

﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِےٓءٍ قُتِلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِے سَبِيلِ اِ۬للَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا اَسْتَكَانُواْ وَاللَّهُ يُحِبُّ اُلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾﴾[3]. ﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمُۥٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا اَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِے أَمْرِنَا وَثَبِّتَ اَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى اَلْقَوْمِ اِ۬لْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾[4].

---

[1] - [سورة آل عمران، الآية 103].

[2] - [سورة آل عمران، الآية 105].

[3] - [سورة آل عمران، الآية 146].

[4] - [سورة آل عمران ، الآية 147].

﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا وَحُسۡنَ ثَوَابِ ٱلۡأٓخِرَةِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٤٨﴾[1].

7 - وتأمّل قول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ١٧٣﴾[2]. ﴿فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ ١٧٤﴾[3].

آيات كثيرة تدعو المسلمين للثبات وعدم الضعف والتخاذل تحت أي ظرف.
ولأن الثبات أمر خطير ومصيري، فالسورة تحذر من عوامل تزلزل إيمان المؤمن، وتقلّل من مقدرته على الثبات.

معاني آيات المدارسة:

﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيّٖ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٞ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٤٦

[1] - [سورة آل عمران، الآية 148].
[2] - [سورة آل عمران، الآية 173]
[3] - [سورة آل عمران، الآية 174].

وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْأٓخِرَةِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾﴾

﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾﴾

﴿وَكَأَيِّن﴾ هذه يقولون : إنها للتكثير ، مثل « كم »[1]، وأصله أي، دخلت الكاف عليها وصارت بمعنى كم، والنون تنوين أثبت في الخط على غير قياس . وقرأ ابن كثير «وكائن»[2].

﴿مِّن نَّبِيٍّ﴾ بيان له، أي كثير من نبي[3].

﴿قَٰتَلَ مَعَهُۥ﴾ قاتل معه مؤمنون برسالته، كما حدث وحصل مع رسول الله ﷺ، في المعركة ومعه جموع كثيرة، أو ربانيون علماء أتقياء ، فلم يفشلوا ولم يضعفوا ، بل ثبتوا على دينهم وجهاد عدوهم ، أو يقول : كثير من الأنبياء قتل معهم ربانيون كثير ، أي : ماتوا في الحرب فثبت الباقون ، ولم يفتروا ولم يضعفوا عن عدوهم ، ويترجح الأول بما صرخ به الصارخ يوم أحد : إن محمدا قد

---

1 - تفسير الشعراوي (ص: 1224).

2 - تفسير البيضاوي (1/ 394، بترقيم الشاملة آليا

3 - تفسير الشعراوي (ص: 1224).

مات ، فضرب لهم المثل بقوله : { وكأين من نبي قتل } ، ويترجح الثاني بأنه لم يقتل نبي قط في المحاربة.

﴿رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾ في اللغة العربية، الكلمة الواحدة قد تحتمل معان كثيرة، لهذا فالحق سبحانه وتعالى الذي اختار اللغة العربية لتكون لغة القرآن، لم يستعمل كلمة جموع، كما لم يستعمل الرباني، في سياق الحديث عن أتباع النبي، بل استعمل الربي، والتي تعني الجموع، والرباني، وتزيد عليهما الملازمة، لتجتمع هذه الصفات الثلاث في أتباع النبي، فجاءت ربيون: مفردة قرآنية وحيدة، في سياق القتال والجهاد في سبيل الله، وقرئت على ثلاثة أوجه: رِبِّيُّونَ" عَلى كَسْرِ الراءِ[1] ، رُبِّيُّونَ" بِضَمِّ الراءِ[2] ، "رَبِّيُّونَ" بِفَتْحِ الراءِ[3] .وكُلُّها لُغاتٌ. وفي معنى الربيين

1 - هو مِنَ الرِبَّةِ بِكَسْرِ الراءِ وهي الجَماعَةُ الكَثِيرَةُ[4] .

2 - رِبِّيُّونَ" مَعْناهُ: عُلَماءُ، وقالَ الحَسَنُ: فُقَهاءُ عُلَماءُ، قالَ أيْضًا: عُلَماءُ صُبُرٌ، وهَذا القَوْلُ هو عَلى النِسْبَةِ إلى الرَبِّ، إمّا لِأنَّهم مُطِيعُونَ لَهُ، أو مِن حَيْثُ هم عُلَماءُ بِما شَرَعَ[5] .

3 - الرَبّانِيُّونَ: الوُلاةُ، والرِبِّيُّونَ: الرَعِيَّةُ الأتْباعُ لِلْوُلاةِ[6] .

---

[1] - وأجْمَعَ السَبْعَةُ وجَماعَةٌ مِنَ الناسِ عَلى كَسْرِ الراءِ مِن "رِبِّيُّونَ"،

[2] - وقَرَأ عَلِيُّ بْنُ أبِي طالِبٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ، وابْنُ مَسْعُودٍ، وابْنُ عَبّاسٍ، وعِكْرِمَةُ، والحَسَنُ، وأبُو رَجاءٍ، وعَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ، وعَطاءُ بْنُ السائِبِ: "رُبِّيُّونَ" بِضَمِّ الراءِ،

[3] - ورَوى قَتادَةُ عَنِ ابْنِ عَبّاسٍ "رَبِّيُّونَ" بِفَتْحِ الراءِ، قالَ ابْنُ جِنِّيٍّ: الفَتْحُ في الراءِ لُغَةُ تَمِيمٍ.

[4] - قالَهُ يُونُسُ بْنُ حَبِيبٍ، وقالَ: إنَّ قَوْلَهُ تَعالى: (قتل مَعَهُ ربيون) مَنسُوبُونَ إلَيْها.

[5] - ورُوِيَ هذا عَنِ ابْنِ عَبّاسٍ وعَنِ الحَسَنِ بْنِ أبِي الحَسَنِ وغَيْرِهِما.

[6] - قالَه ابْنُ زَيْدٍ

4 - وَالْأَصْلُ الْآخَرُ لُزُومُ الشَّيْءِ وَالْإِقَامَةُ عَلَيْهِ، وَهُوَ مُنَاسِبٌ لِلْأَصْلِ الْأَوَّلِ. يُقَالُ أَرَبَّتِ السَّحَابَةُ بِهَذِهِ الْبَلْدَةِ، إِذَا دَامَتْ. وَيُقَالُ أَرَبَّتِ النَّاقَةُ، إِذَا لَزِمَتِ الْفَحْلَ وَأَحَبَّتْهُ، وَهِيَ مُرِبٌّ[1]. ويؤول المعنى العام للآية في الذين لازموا النبي حال القتال، ولزموا دعوته من بعده، وأقاموا على ذلك.

﴿ كَثِيرٌ ﴾ نعت، كقوله : (والملائكة بعد ذلك ظهير)[2]؛ لأن فعيلا يخبَر به عن المفرد والجمع .

﴿ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ أي : فما فتروا : ولم ينكسر جندهم؛ لأجل ما أصابهم من قتل نبيهم أو بعضهم.

﴿وَمَا ضَعُفُواْ ﴾ عن جهاد عدوهم ولا عن دينهم.

﴿وَمَا ٱسْتَكَانُواْ﴾ أي : خضعوا لعدوهم ، من السكون؛ لأن الخاضع يسكن لعدوه يفعل به ما يريد ، فالألف إشباع زائد ، أي : فما سكنوا لعدوهم بل صبروا له.

﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾﴾ فينصرهم ويعزهم ويعظم قدرهم .

كثير من الأنبياء السابقين قاتل معهم جموع كثيرة من أصحابهم، فما ضعفوا لِمَا نزل بهم من جروح أو قتل؛ لأن ذلك في سبيل ربهم، وما عَجَزوا، ولا خضعوا لعدوهم، إنما صبروا على ما أصابهم. والله يحب الصابرين.

---

[1] - المقاييس لابن فارس، مادة: ربّ، 2-381/380.

[2] - سورة التحريم ، الآية 4.

﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾

﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ﴾ عند قتل نبيهم مع ثباتهم على دينه ،

﴿إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ أي الصغائر.

﴿وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا﴾ أي : ما تجاوزنا به الحد في أمر ذنوبنا ، كالكبائر.

﴿وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾ في مداحض الحرب؛ لئلا ننهزم.

﴿وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾ من أعدائنا ، فهلا فعلتم مثلهم ، وقلتم ذلك يا أصحاب محمد ﷺ .

وما كان قول هؤلاء الصابرين إلا أن قالوا: ربنا اغفر لنا ذنوبنا، وما وقع منا مِن تجاوزٍ في أمر ديننا، وثبِّت أقدامنا حتى لا نفرَّ من قتال عدونا، وانصرنا على مَن جحد وحدانيتك ونبوة أنبيائك.

﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْأٓخِرَةِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾﴾

﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾ في ثواب الاستغفار واللجوء إلى الله

﴿ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا﴾ وهو النصر والغنيمة والعز وحسن الذكر ،

﴿وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْآخِرَةِ﴾ وهو النعيم الذي لا يفنى ولا يبيد ، وخص ثواب الآخرة بالحسن؛ إشعارا بفضله ، وأنه المعتد به عنده.

﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾﴾ الثابتين على دينهم ، لأنهم أحسنوا فيما بينهم وبين ربهم بحفظ دينه، فأحبهم الله وقربهم إلى حضرته .

فأعطى الله أولئك الصابرين جزاءهم في الدنيا بالنصر على أعدائهم، وبالتمكين لهم في الأرض، وبالجزاء الحسن العظيم في الآخرة، وهو جنات النعيم. والله يحب كلَّ مَن أحسن عبادته لربه ومعاملته لخلقه.

القرآن كتاب هداية، ومن هداية آيات المدارسة:

بمعية الربيين لنبيهم وصحبتهم له، نالوا ما نالوه من صفات حميدة، ووضوح رؤية، وطهارة نفس، وعلو همة، وثبات على المنهج الحق، والجهاد في سبيل الله للمحافظة عليه، واتهام أنفسهم بالنقصان رغم مواقفهم الجبارة، واستصغار أعمالهم أمام فضل الله عليهم بالهداية، وعدم الاغترار بعلمهم ولا بعددهم ولا بعدتهم، وطلب ربهم المنعم بأن يثبت أقدامهم قبل النصر وبعده، وثباتهم على المنهج بعد موت نبيهم، وبلوغهم درجة الإحسان بسبب صحبتهم الصادقة لنبيهم، وكم من المريدين والأتباع مات مصحوبهم أو قتل ، فثبتوا على طريقهم، فما فشلوا ولا ضعفوا، ولا خضعوا لمن يقطعهم عن ربهم، بل صبروا على السير إلى ربهم، أو الترقي في المقامات، ومن لم يرشد منهم طلب من يكمل له، (والله يحب الصابرين)، فإذا أحبهم كان سمعهم وبصرهم، كما في الحديث القدسي

وكانوا من أوليائه . وما كان حالهم عند موت مصحوبهم إلا الالتجاء إلى ربهم، والاستغفار مما بقي من مساوئهم، وطلب الثبات في مواطن حرب أنفسهم، فأعطاهم الله عز الدنيا والآخرة، عز الدنيا بالإيمان والمعرفة، وعز الآخرة بدوام المشاهدة ، فكانوا أحباب الله؛ (والله يحب المحسنين) .

سورة آل عمران وخماسية الثبات:

للثبات على الحق لابد من عوامل خمسة جاءت في سورة آل عمران، التي مقصدها الثبات، وهي:

1. اللجوء إلى الله:

فالثبات من الله تعالى، وهو القادر على تثبيتنا على منهجه. لذلك فالسورة تحثّ على الدعاء كثيراً من أولها، إلى آخرها،قال تعالى: (**رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ**)[1]. (**رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لاَّ رَيْبَ فِيهِ إِنَّ ٱللهَ لاَ يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ**)[2]. (**قُلِ ٱللهمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّمَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلّ شَىْء قَدِيرٌ**)[3]. إلى أن يصوّر لنا القرآن نماذج مضيئة وكيف كانت تلجأ إلى الله. وهذه زوجة عمران تدعو الله قائلة: (**رَبّ إِنّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي**

[1] - سورة آل عمران ، الآية 8.

[2] - سورة آل عمران، الآية 9.

[3] - سورة آل عمران، الآية 26.

مُحَرَّرًا)[1]. وزكريا عليه السلام (**هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً)**[2]. وتمضي الآيات في السورة لتحثّ على الدعاء وترغب فيه، فهذا دعاء الأمم السابقة في الثبات عند لقاء العدو (**وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلاَّ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَ افَنَا فِى أَمْرِنَا وَثَبّتْ أَقْدَامَنَا وٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ)**[3]. وهذا دعاء أولي الألباب (**رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِياً يُنَادِي لِلإِيمَٰنِ أَنْ ءامِنُواْ بِرَبّكُمْ فَئَامَنَّا، رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفّرْ عَنَّا سَيّئَٰتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلاْبْرَارِ * رَبَّنَا وَءاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلاَ تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّكَ لاَ تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ * فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنّى لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مّنْكُمْ .مّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مّن بَعْضٍ فَٱلَّذِينَ هَٰجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُواْ فِى سَبِيلِىوَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لأكَفّرَنَّ عَنْهُمْ سَيّئَٰتِهِمْ وَلاَدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلاْنْهَٰرُ ثَوَ اباً مّن عِندِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ)**[4].

2. العبادة:

[1] - سورة آل عمران، الآية 35

[2] - سورة آل عمران، الآية 38.

[3] - سورة آل عمران، الآية 147.

[4] - سورة آل عمران، الآية 193 – 195.

بما في ذلك الفرض والنفل، ويدخل فيه الرباطات، والاعتكافات، والدوام على الذكر، وتقرأ في ذلك قوله تعالى: **(كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا المحراب)**[1].

فكانت السيدة مريم عاكفة على المحراب، فتعلم منها سيدنا زكريا عليه السلام، وذلك عندما نادته الملائكة لتبشره بيحيى: **(فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ)**[2]. وهكذا نرى أن أجواء العبادة في السورة كثيرة، ونصل إلى صفات أولي الألباب في آخر السور لنقرأ قوله تعالى: (ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّه قِيَٰماً وَقُعُوداً وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ...)[3].

3. الدعوة إلى الله:

وهي الشعبة السابعة والسبعون من شعب الإيمان، والمندرجة ضمن خصلة الجهاد، وهي تنقل الفرد من محمول إلى حامل، ومن صالح إلى مصلح، ومن لازم إلى متعد، ومن آثار الدعوة إلى الله في الثبات على الحق، أنها توجد منطقة في مخ الإنسان هي منطقة الاقتناعات، وهناك منطقة أبعد وأقوى هي منطقة الهوية والانتماء، ولكي ننقل فكرة في المخ من منطقة الاقتناعات إلى منطقة الهوية والانتماء لا بد أن نتحدّث عنها. فقد يكون المرء مقتنعاً بالإسلام، لكن الإسلام لم يصبح هوية له. فإذا أراد الإنسان أن يكمل انتماءه إلى دينه فينبغي أن يكثر

[1] - سورة آل عمران، الآية 37.

[2] - سورة آل عمران، الآية 39.

[3] - سورة آل عمران، الآية 191.

الحديث عنه، فيقوى انتماءه للفكرة ويثبت عليها. فالدعوة إلى الله من أهم عوامل الثبات، لأن الداعي حين يأخذ بيد الناس فإنه سيكون أول من يثبت على ما يدعو الناس إليه. لذا فإن السورة تحتوي على الكثير من الآيات التي تحثّ المؤمن على الدعوة إلى الله:

(وَلْتَكُن مِّنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ وَأُوْلَـٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ)[1]. **(كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَوْ ءامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ)**[2].

4. وضوح الهدف:

ومن عوامل الثبات أن يكون لك هدف واضح في حياتك.

يقول تعالى: **(ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰماً... رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذا بَـٰطِلاً سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ)**[3]. فلا بدّ أن نفهم أن هذا الكون قد أنشئ لهدف، ولم ينشأ عبثاً، والهدف هو عبادة الله ومعرفته، وأن نكون مسئولين عن الأرض (كما وضحت سورة البقرة).

[1] - سورة آل عمران، الآية 104.

[2] - سورة آل عمران، الآية 110.

[3] - سورة آل عمران، الآية 191.

5. الأخوة في الله[1]:

قال تعالى: (**وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ**)[2]. فالأخوة في الله تؤمّن للمسلم الصحبة الصالحة، وهي من أهم نعم الله على الإنسان، قال تعالى: (**فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً**)[3].. لذلك تحذّرنا السورة من تضييع الأخوة والتفرق فتقول: (**وَلاَ تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ**)[4].

كيف نثبت على الحق؟

للإجابة على هذا السؤال يجب أن نعرف كيف يزيغ الناس، فالناس يضلّلون إما بالأفكار التي تشوش عقائدهم، أو يتيهون وسط مشاغل الحياة، فتضعف عزائمهم. وبالتالي، فأسباب الهلاك فكرية (داخلية) أو عملية (خارجية)، وسورة آل عمران، تحث المؤمن على الثبات في المجالين وتحذره مما قد يكون سبباً في زلته.

الخاتمة: الثبات مع البداية و النهاية لسورة آل عمران:

---

[1] - انظر كتاب المنهاج النبوي لعبد اليم ياسين. عقد الأخوة ص 130، والإخاء بين المؤمنين، ص 136.

[2] - سورة آل عمران، الآية 103.

[3] - سورة آل عمران، الآية 103.

[4] - سورة آل عمران، الآية 105.

بدأت سورة آل عمران، بما يساعد المسلم على الثبات، وختمت أيضاً بما يثبته على الحق. واقرأ في بداية السورة: **(الم * ٱللهُ لا إِلَٰهَ إِلاَّ هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ * نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقّ مُصَدّقاً لّمَا بَيْنَ يَدَيه)**، فإلهكم إله واحد، وهو المعين على الثبات، والكتاب حقّ، وهو طريقك إلى الثبات على هذا الدين.

والآية الأخيرة من سورة آل عمران تقول للمؤمنين: **(يَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَ ابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)**.

اصبروا، أي اصبر نفسك، أما صابروا فمعناها أن تساعد غيرك على الصبر، وأما رابطوا فمعناها أن يبقى المسلم مستعداً لمواجهة أي خطر يأتي من الخارج. والرباط يكون على الثغور لدفع وصد العدو الخارجي سواء كان هذا العدو جيشاً أو فكرة وشبهة. وذكر القرآن كعامل من عوامل الثبات قد تكرر كثيراً في السورة. فتأتي الآية (7) لتوضح ذلك **(هُوَ ٱلَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ آيَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فيقُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَاء ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَاء تَأْوِيلِهِ، وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ ٱللهُ، وَٱلراسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ: ءامَنَّا بِهِ كُلٌّ مّنْ عِندِ رَبّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ ٱلالْبَٰبِ)**.

فالفهم الصحيح للقرآن من أهم عوامل الثبات الفكري، والكثير من الناس قد يزيغون ويقعون في الباطل عن طريق اتباع المتشابه من القرآن. فالسورة تحذرنا من هذا الضلال وتحثنا على أن نكون من الراسخين في العلم، وان ندعو بدعاء

الثبات:(**رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ**)[1].

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، تم بمكناس ليلة السبت 4 رجب 1441 الموافق 28 فبراير .2020

[1] - سورة آل عمران، الآية 8.